(الفصل السابع عشر)

"ساعة الصفر"

في صباح اليوم التالى استيقظ نور الدين؛ ليذهب إلى عمله، كانت ناردين ما زالت نائمة في سبات عميق، لا تحرك ساكنًا، ظل ينظر إليها في حب وحنان مشفقًا عليها مما عانته تلك الليلة المؤلمة؛ لقد عانت روحها الكثير من الاضطرابات والهلع بسبب ذلك الحقير، مسح على وجهها بأطراف أنامله في رقة وحنان ثم ابتسم قائلًا:

- **ما أجملك يا ملاكي! تنامين كطفلة بريئة تكسو ملامحها السلام، آه يا جميلتي، حزنت على ما عايشتينه ليلية أمس، لكني أعدك، لن أسمح لأى مخلوق بإيذاء روحك النقية تلك، لن أسمح لأحد بإيلام قلبك الرقيق هذا، أعدك بأن كل شيء سيكون أفضل، سنكون لبعضنا مهما حدث؛ فلن ينتصر الشر في نهاية قصتنا أبدًا؛ فقصتنا سوف تنتهي نهاية سعيدة نكون فيها أسعد زوجين في العالم.**

ثم طبع قبلة حانية على جبينها وتركها ليذهب لعمله، عليه أن يتصرف بشكل طبيعي كما اتفق مع الشيخ حامد؛ حتى لا يشك أحد في شيء.

أثناء خروجه وجد رجلين يقفان على الباب؛ فاندهش ثم سألهما في ترقب قائلًا:

- **من أنتما؟**
- فأجاب أحدهما:
- لا تقلق يا بشمهندس، نحن رجال الشيخ حامد نقف هنا للحراسة ولحمايتكما.

فاطمأن نور الدين ثم قال:

- **حسنًا، اعتنيا بناردين من فضلكما؛ فهي في أمانتكما حتى أعود.**

فابتسم الرجلان ثم قالا:

- **لا تقلق فالأمر لدينا.**

وغادر إلى مزرعته. أثناء ذلك، كان الشيخ يجمع رجاله وأصدقاءه القدامى؛ ليضع خطته. الكل لبى النداء واستعد بكامل قوته للمساعدة ولتنفيذ ما يأمرهم به.

في المغارة حيث اجتمع المطاريد جلس الشيخ حامد ثم قال:

- **أعزائي وأصدقائي، اليوم أنا بحاجة إليكم وإلى مساندتكم.**

فأجمع الكل على أنهم معه فيما يريد، فتابع:

- **حفظكم الله.**

ثم قص عليهم قصة المختل متابعًا:

- **والآن علينا أن نقوم باحتجازه هنا، وبترويعه قدر المستطاع؛ حتى ينتهي ويبتعد عن ناردين ونور الدين تمامًا. إليكم الخطة، سوف يأتي هذا الحقير غدًا في غرفة ناردين وسنكون نحن بانتظاره هو ومن معه، سنقوم بتكميمهم وأنتم أدرى بعملكم بالطبع لن أوصيكم، ثم نحضرهم إلى هنا في هذه المغارة مؤقتًا؛ لحين نقلهم إلى الجبل الكبير الموجود على الطريق الصحراوى في اتجاه الإسكندرية. يجب أن يكون بعيدًا عن هنا قدر المستطاع، مفهوم؟**

فأجمع الرجال:

- مفهوم، لا تقلق هذا العمل عندنا، اعتبره قد تم بالفعل.

فشكرهم ثم قال:

- ولكن دون سفك أي قطرة دم؛ فنحن لن نقتل أحدًا مهما حدث، كل ما هنالك أننا سنقوم بإرهاب هذا المعتوه؛ ليتراجع عن إيذائه لناردين وتهديده لها ليس أكثر، كونوا على حذر.

فأكد الرجال:

- حسنًا كما تريد يا شيخنا.

فشكرهم مرة أخرى ثم هب واقفًا مستعدًا للمغادرة، وودعهم عائدًا إلى داره. لما عاد الشيخ كانت ناردين قد استيقظت، فلما رأته سألته بفزع عن نور الدين، وما الذي ينوي أن يفعله؟ وماذا سيحل به؟ فطمأنها قائلًا:

- **لا تخافي يا بنيتي؛ فأنتِ ونور الدين في أمانتي، أنا سوف أحل هذا الأمر دون تدخل لنور الدين ودون إيذاء لأحد. فقط، ثقي بي واتركي هذا الأمر لي، لكني أريد منك شيئًا.**

فردت فى توتر:

- **ماذا يا شيخ؟**
- **أريد منك أن تكوني هادئة، وأن تتعاملي بشكل طبيعي، ولا تذكري لأى أحد أنك قد تقابلتي مع ذلك المختل، أو حتى أنك تعلمين عنه شيئًا.**
- **حسنًا، ولكن طبيبتي تعلم كما أنني سأتحدث معها؛ لأعرف ماذا فعلت؟**
- **حسنًا، افعلي لنرى ماذا فعلت؟ ثم بعد ذلك نقرر.**

على الفور اتصلت ناردين بطبيبتها فأجابتها في توتر وخوف قائلة:

- **عفوًا يا ناردين، لقد فشلت في إقناعه حتى بمجرد الحديث معي، أنصحك بأن تعلمي الشرطة؛ فهذا المريض لا ينوي على خير أبدًا حتى لو نفذتي ما طلبه منك فالأمر خطير للغاية؛ لقد هددني أنا شخصيًا بأنه سوف يذبحني إذا**

اتصلت بك أو تحدثت لأي أحد وخاصة الشرطة عن هذا الأمر، وللحق فقد وعدته بأنني لن أتحدث لأى أحد. معذرة يا ناردين فلقد خشيت على نفسي.

شكرتها ناردين قائلةً:

- **حسنًا، أنا أتفهمك لأنني عشت مع هذا المختل وأعلم جيدًا ما يستطيع فعله.**

ثم أغلقت الهاتف، وقصت على الشيخ حامد ما حدث فعلق مُرَحِبًا:

- **جيد ما حدث؛ فالطبيبة لن تتحدث أبدًا، وأنت كما اتفقنا سوف تنكرين أي صلة بينك وبينه، الآن، أو بعد ذلك؛ لأنني سوف أقوم باختطافه ولا أعلم كم من الزمن سيمكث هذا الحقير حتى نحل الأمر معه، وحتمًا سوف يشعر أهله بغيابه وسيقومون بإبلاغ الشرطة، ومن المحتمل أن تسألك الشرطة عنه، وحينها سوف تنكرين أنك رأيتيه أو حادثتيه منذ طلاقكما، اتفقنا؟**

فأجابته في اضطراب:

- **حسنًا، اتفقنا.**

عاد نور الدين من المزرعة، فوجد ناردين تعد الغداء، فجلس يتحدث مع الشيخ حامد عن الخطة وكيفية تنفيذها؛ فأخبره بما قام به وبحديث الطبيبة. جلس الثلاثة يتناولون الغداء في الدار، وكان الرجال بالخارج؛ فأخرج لهم

نور الدين الطعام، ثم جلس الشيخ يقص عليهما حكاياته ونوادره؛ ليخفف عنهما ويزيل توترهما حتى أتى المساء؛ فنام الجميع.

في صباح اليوم التالي، خرج كلٌ من ناردين ونور الدين إلى المزرعة؛ ليشاهدهما الجميع وتنفذ الخطة، وخرج الشيخ حامد ليتفقد رجاله، ويتمم على كل شيء بنفسه؛ استعدادًا لليلة اليوم.

بعد أن أنهى الثنائي عملهما عادا إلى دار الشيخ، جلسا ينتظران الأخبار، في حين أن الشيخ ورجاله كانوا في غرفة السكن الخاصة بناردين بانتظار فريستهم.

في تمام الساعة التاسعة مساءً حضر جلال وفتح باب غرفة ناردين؛ فدخل بكل ثقة واستهزاء، كانت الحجرة مظلمة؛ فدلف ثم أغلق الباب خلفه بالمفتاح في إشارة لترويع ناردين؛ ظنًا منه بأنها نائمة في الغرفة، لكنه عندما أضاء مصباح الغرفة كانت المفاجأة؛ فلقد وجد أمامه الشيخ حامد ورجاله فاندهش، تراجع للخلف في خوف لم يستطع أن يواريه ثم تلعثم قائلًا:

- **من أنتم؟ وماذا تريدون؟ وأين ناردين؟**

فابتسم الشيخ حامد وهو يحدق بوجه جلال المختل بنظرات حادة ومرعبة، ثم بصوت مرعب قال:

- **أعتقد بأنك لست في حال يسمح لك بطرح الأسئلة هنا.**

ثم أشار إلى رجاله؛ فالتفوا حول المختل وأعصبوا عينيه بشريط أسود، ثم كمموا فمه بكمامة وأوثقوا يديه وقدميه بحبل سميك بإحكام، وهو يحاول أن يتخلص منهم في محاولات فاشلة، ثم حملوه وذهبوا به إلى المغارة، وكان معه أربعة رجال ينتظرونه بالخارج؛ فتم القبض عليهم هم الآخرون من قبل رجال الشيخ، واقتادوهم جميعا إلى المغارة. عاد الشيخ إلى داره وأخبر نور الدين وناردين بأن الأمر قد تم، وبأنهما عليهما العودة فورًا إلى السكن؛ حتى لا تثار الشكوك.

عادا كلٌ منهما إلى غرفته، وهناك تمسكت ناردين بيد نور الدين، وبصوت مرتجف قالت:

- **لا تتركني بمفردي هنا، أرجوك أبقى معي الليلة؛ فأنا ما زلت أشعر بالخوف.**

فأجابها مبتسمًا:

- **حسنا، سوف أبقى، ولكن لا داعي لخوفك، انظري؛ فالشيخ سوف يحل الأمر.**

فردت في خوف وتوتر أكبر

- **نعم، ولكن ماذا لو لم يستطع الشيخ حامد حل الأمر؟ ماذا لو هرب هذا المختل من يده؟ يا الله، يا ربي، أنقذنا يا ربي ولا تريني هذه الأيام، فلا قدر الله لو حدث ذلك ستكون نهايتنا جميعًا، لن يرحم أحدًا منا.**

ثم انهارت في البكاء؛ فعانقها مطمئنًا إياها وبصوت هادئ قال:

- لا تقلقي يا حبيبتي؛ فلن يحدث هذا إن شاء الله، اطمئني، فأنا أثق بالشيخ، وأعلم أنه يستطيع أن يحل الأمر.

فقالت:

- أتمنى ذلك، يا الله، كن معنا يا رحمن.